

## التوجيهات التربوية العقدية والفقهية المستنبطة من الحزب الأول من سورة البقرة

د. محمد فهمي إبراهيم القرعان

<https://doi.org/10.65723/RMSP26105>

### الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان التوجيهات التربوية العقدية والفقهية المستنبطة من الحزب الأول من سورة البقرة وفق منهج التفسير الموضوعي. ويعالج مفهوم التوجيهات التربوية في ضوء القرآن الكريم، مع إبراز الجوانب العقدية والفقهية التي تتضمنها الآيات. اعتمد الباحث المنهج الاستنباطي في استخراج الدلالات التربوية من النص القرآني. تناول البحث قضايا الإيمان من حيث حقيقته وأركانه ونواقضه، مع التركيز على الإيمان بالغيب والملائكة واليوم الآخر. كما أبرز التوجيهات القرآنية في التعامل مع المنافقين واليهود وبينان خطورة الانحراف العقدي. وتطرق إلى الإيمان بالجنة والنار وحياة البرزخ، وربط ذلك بالسلوك الإيماني للمؤمن. كما عرض التوجيهات الفقهية المتعلقة بالجهاد وفقه الأولويات والاستخلاف في الأرض وشرائع الأنبياء السابقين. وبيّن البحث منهج القرآن في التربية العقدية والفقهية القائم على الترغيب والترهيب والتوجيه العملي. وأظهر أن الحزب الأول من سورة البقرة يرسخ بناء العقيدة الصحيحة ويؤسس للسلوك الإسلامي المتوازن. وخُصص إلى أهمية تدبر القرآن الكريم في استنباط الهدايات التربوية التي تعالج قضايا الواقع المعاصر.

**الكلمات المفتاحية:** التوجيهات التربوية، التوجيهات العقدية، التوجيهات الفقهية.

### Abstract:

This research aims to present the doctrinal and jurisprudential educational guidelines derived from the first section (Hizb) of Surah Al-Baqarah through a thematic interpretive approach. It addresses the concept of educational guidance in the light of the Holy Qur'an, highlighting its doctrinal and jurisprudential dimensions. The researcher adopted the deductive methodology to extract educational implications from the Qur'anic text. The study examines the fundamentals of faith, including its reality, pillars, and nullifiers, with emphasis on belief in the unseen, angels, and the Last Day. It also highlights Qur'anic guidance regarding the treatment of hypocrites and Jews and the dangers of doctrinal deviation. Furthermore, it discusses belief in Paradise, Hell, and the life of Barzakh, linking these beliefs to Muslim conduct. The research also explores jurisprudential directives related to jihad, prioritization (Fiqh al-Awlawiyyat), succession in the earth, and previous divine laws. It demonstrates the Qur'anic educational methodology based on encouragement, warning, and practical moral guidance. The first section of Surah Al-Baqarah establishes correct creed and promotes balanced Islamic behavior. The study concludes with the importance of reflecting on the Qur'an to derive educational guidance relevant to contemporary issues.

**Keywords:** Educational guidance, doctrinal guidance, jurisprudential guidance.

## المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يُعد القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع والهداية والتربية في الإسلام، وقد اشتمل على توجيهات عقديّة وفقهيّة وتربويّة متكاملة تُعالج مختلف جوانب الحياة الإنسانيّة. وتبرز سورة البقرة بوصفها من أطول سور القرآن وأغناها بالمضامين التشريعيّة والتربويّة، ولا سيما الحزب الأول منها الذي يرسخ أسس العقيدة الصحيحة، ويبين معالم المنهج الإيماني والتربوي للمؤمنين.

وتتبع أهمية هذا البحث من الحاجة إلى إبراز التوجيهات التربويّة المستنبطة من هذا الجزء من السورة، وبيان أثرها في بناء التصور العقدي السليم، وضبط السلوك الفقهي وفق منهج القرآن الكريم. كما يهدف إلى توضيح كيفية معالجة القرآن لقضايا الإيمان، والانحراف العقدي، والعلاقات الإنسانيّة من خلال أسلوب تربوي هادف يجمع بين الترغيب والترهيب.

ويعتمد البحث على المنهج الاستنباطي في ضوء التفسير الموضوعي، من خلال تدبر الآيات واستخلاص الدلالات التربويّة العقديّة والفقهية منها، بما يسهم في ربط النص القرآني بواقع الأمة المعاصر.

**مشكلة البحث:** تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات الآتية:

ما أبرز القضايا العقديّة التي تناولها الحزب الأول؟، ما الأحكام الفقهية المستنبطة من آياته؟، ما منهج القرآن في عرض العقيدة والأحكام في هذا الحزب؟

## أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

يبين البحث سبل الهداية والرشاد التي تزخر بها سورة البقرة، كما القرآن كله، لا سيما أنّ الأمة تعيش واقع الحيرة؛ لعدم رجوعها إلى أدق تعاليم الإسلام الحنيف، يكشف البحث عن الهداية الربانيّة والتوجيه القرآني لعلاج الأزمات التي نمر بها خاصة في مجالات الولاء والبراء، وكذلك فقه العلاقات الدوليّة في الإسلام، والتوجيه التربوي في التعامل مع المنافقين.

**أهداف البحث:** توجد عدة أهداف وغايات لهذا البحث، أذكر أهمها فيما يأتي:

الكشف عن التوجيهات التربويّة العقديّة، خاصة تلك التي تتعلق بالولاء والبراء، والتعامل مع المنافقين واليهود، إظهار التوجيهات التربويّة الفقهية، خاصة تلك التي تتعلق بفقه الأولويات.

**الدراسات السابقة:** سورة البقرة من السور القرآنيّة، التي كان لها حظٌّ وافزٌ من الدراسات والبحوث والوقفات، إلا أنها لم تبحث وفق المنهج المقصود في هذه الدراسة، وهو المنهج الموضوعي في التفسير، بما يعني استنباط التوجيهات التربويّة وأساليبها، ولعل أكثر هذه الدراسات التصاقاً برسالتني ما يأتي:

1. الرسالة الموسومة بـ (المعالم التربويّة في سورة البقرة)، للباحث: محمد أمين قاسم، 2009م، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية.

2. الرسالة الموسومة بـ (منهجات الإصلاح والتغيير في سورتي الفاتحة والبقرة- دراسة موضوعية)، للباحث: إسلام ضهير، 2012م، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة.

**منهج الباحث:** اعتمد الباحث المنهج الاستنباطي، حسب منهجية التفسير الموضوعي، منطلقاً من الخطوات الآتية:

الاعتماد على الآيات القرآنيّة من الحزب الأول من سورة البقرة، التي تبحث المواضيع المطروحة في هذه الدراسة وفق فصولها ومباحثها ومطالبها، التدبر والتأمل في الحزب الأول من سورة البقرة، ومحاولة استنباط معاني وتوجيهات وعبر وعظات، التركيز على اللمسات الإعجازية في الجانب التربوي الهادئ في الحزب الأول من سورة البقرة، بيان معاني المصطلحات الرئيسة لعنوان الدراسة، الاستشهاد بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم موضوع الدراسة وتخريجها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بذلك، وإلا فإنني أخرج من مظانّه، مع ذكر حكم

العلماء عليه - ما أمكن - خرّج الأحاديث من مصادرها، وبيّن درجة صحتها من خلال حكم العلماء المختصين عليها عدا المُخَرَّجة في الصحيحين، أشار إلى رقم الآية وذكر السورة، للآيات التي تكون في الدراسة من غير آيات السور موضع الدراسة، حرص على الرجوع للمصادر الأصلية والعزو إليها، ونسب الأقوال إلى قائلها في كل نقل، أثبت المراجع في الحاشية باختصار، وفي الفهرس بشكل كامل.

**محاور البحث:**

### **القسم الأول: توجيهات تربوية عقديّة**

أولاً: توجيهات تربوية في حقيقة الإيمان.

ثانياً: توجيهات تربوية في أركان الإيمان.

ثالثاً: توجيهات تربوية في الحذر من نواقض الإيمان.

رابعاً: توجيهات تربوية في الإيمان بالملائكة والتعرف عليهم.

خامساً: توجيهات تربوية في التعامل مع المنافقين.

سادساً: توجيهات تربوية في التعامل مع اليهود.

سابعاً: توجيهات تربوية في الإيمان بالجنة والنار وحياة البرزخ.

ثامناً: توجيهات تربوية في الإيمان بتكريم الله تعالى لأوليائه وعقابه لأعدائه.

تاسعاً: توجيهات تربوية في بيان توبة الله على عباده.

### **القسم الثاني: توجيهات تربوية فقهية**

أولاً: توجيهات تربوية في حكم الجهاد في سبيل الله تعالى.

ثانياً: توجيهات تربوية في التعرف إلى فقه الأولويات.

ثالثاً: توجيهات تربوية في أحكام الاستخلاف.

رابعاً: توجيهات تربوية في أحكام شرائع الأنبياء السابقين.

### **القسم الأول: توجيهات تربوية عقديّة**

يركز هذا المبحث على بيان أهم التوجيهات التربوية العقديّة التي تناولها الحزب الأول من سورة البقرة، بدءاً من التوجيهات التربوية في حقيقة الإيمان، ومروراً بأركان الإيمان، والحذر من نواقض الإيمان، وكذلك الإيمان بالملائكة والتعرف عليهم، والتوجيه التربوي في التعامل مع المنافقين، والتعامل مع اليهود، ثم الإيمان بالجنة والنار وحياة البرزخ، والإيمان بتكريم الله تعالى لأوليائه وعقابه لأعدائه، وانتهاءً بالتوجيهات التربوية في بيان توبة الله على عباده. وقد مثل هذا المبحث توضيحاً عملياً لذلك، من خلال المطالب الآتية:

**أولاً: توجيهات تربوية في حقيقة الإيمان.**

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 22]، حيث إن الله تعالى " بيّن اتقاء الذي أمر بالتوحيد له، وتوجيه العبادة إليه، وإخلاص النية له؛ فقال: الذي فرش لكم الأرض؛ لتنتفعوا بها، وتقصوا حوائجكم فيها، من أنواع المنافع عليها، واتخاذ المستقر والمسكن فيها. ثم بين بقوله: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ)، أي: وجهوا العبادة إلى الذي ينزل لكم من السماء ماء عند حوائجكم، ولا تعبدوا من تعلمون أنه لم يخلقكم، ولا أنزل لكم من السماء ماء، ولا أخرج لكم من ذلك الماء ثمرات تكون رزقاً لكم. بل هو الله الواحد الذي لا شريك له؛ ولأنه يخلقكم، ويرزقكم، ويخرج لكم من ذلك الماء المنزل من السماء رزقاً تأكلونه، وماء عذباً تشربونه" (1)، ثم تأتي الفاصلة القرآنية لمخاطبة الناس جميعاً بقوله: إن كنتم أيها الناس قد أقررتم أنّ الله تعالى هو الذي أسبغ عليكم هذه النعم المذكورة فلا تصيروا لله شركاء ومماثلين، والحال أنكم تعلمون يقيناً عكس ذلك، بما أعطاكم الله تعالى من البرهان القاطع في آياته الكونية.

وتبين الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 23]، أي: وإن كنتم في شكٍ من صدق هذا الكتاب الذي أنزلناه على محمد، وقلتم: لا ندري هل هو من عند الله أم لا، فأتوا بسورة من مثل هذا القرآن في الإعجاز وحسن النظم والإخبار

(1) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، للماتريدي (1/ 399، 400).

عَمَّا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَاسْتَعِينُوا بِالْهَيْكَلِ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا تَقُولُهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ (2)، فَلَمْ يَزِدْ الرِّسُولَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَيْهِمْ إِيْتَانًا بِالْآيَاتِ، وَإِظْهَارًا مِنَ الْمَعْجَزَاتِ إِلَّا أَزْدَادُوا رِيْبًا عَلَى رِيْبٍ، وَشَكًّا عَلَى شَكٍّ، وَهَكَذَا سَبِيلٌ مِنْ أَعْرَاضِ عَنِ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ، لَا يَزِيدُهُ ضِيَاءُ الْحَجَّجِ إِلَّا عَمَى عَنِ الْحَقِيقَةِ (3).

وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُوَقِنُونَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَمْثَالِ الَّتِي يُضْرِبُهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ هِيَ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، حَيْثُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: 26].

يقول السعدي: "يقول تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا} أي: أيِّ مثل كان {بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا}؛ لاشتمال الأمثال على الحكمة، وإيضاح الحق، والله لا يستحيي من الحق، وكان في هذا، جواباً لمن أنكر ضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة، واعتراض على الله في ذلك. فليس في ذلك محل اعتراض، بل هو من تعليم الله لعباده ورحمته بهم، فيجب أن تتلقى بالقبول والشكر، ولهذا قال: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} فينتفهمونها، ويتفكرون فيها، فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل ازداد بذلك علمهم وإيمانهم، وإلا علموا أنها حق، وما اشتملت عليه حق، وإن خفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأن الله لم يضربها عبثاً، بل لحكمة بالغة، ونعمة سابغة، {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا}، فيعتبرضون ويتحيرون، فيزدادون كفراً إلى كفرهم، كما ازداد المؤمنون إيماناً على إيمانهم، ولهذا قال: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا}، فهذه حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية، قال تعالى: {وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَنَ الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}، فلا أعظم نعمة على العباد من نزول الآيات القرآنية، ومع هذا تكون لقوم محنة وحيرة وضلالة وزيادة شر إلى شرهم، ولقوم منحة ورحمة وزيادة خير إلى خيرهم، فسبحان من فآوت بين عباده، وانفرد بالهداية والإضلال (4).

وورد ما يبين أن الذي يتبع ما جاء في رسالات الله تعالى السماوية لا يخاف عليه مما سيأتيه، ولا يُحْزِنُهُ مَا فَاتَهُ مِنْ ابْتِلَاءَاتٍ، كما قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]، أي: "أن الذين يتبعون ما يجيء به النبيون من رسالات إلهية فإنهم يكونون طائعين خاضعين لأحكام الله تعالى، محاربين للشيطان وإغرائه ووسوسته، ولا يعاقبون؛ ولذا قال تعالى: (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)، وهو جواب (فَمَنْ تَبِعَ)؛ لأنها هي الأخرى شرط، فكان جواب (فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) جملة شرطية، أي فيها شرط وجواب، فقوله تعالى: (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) جواب شرط الثانية.

ومعنى (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) أنهم يكونون في أمن من عذاب الله تعالى، ولا يحزنون على أمر فاتهم؛ لأنهم سبقوا طاعتهم، ولا يكونون في حال حزن، بل في سرور، وعلى سرر متقابلين، وليسوا كالذين يخضعون لوسوسة إبليس، وإغرائه، فلا يطيعون، ويجحدون؛ ولذا ذكر عقوبة الأشرار بجوار ثواب الأخيار ليدرك أهل الحق الفرق بين الفريقين (5).

وقد بيّن الله تعالى أن أهل الاستقامة والهدى من المؤمنين تحفهم رعاية الله تعالى ساعة قبض الروح، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30]، أي: إن عموم الذين قالوا ربنا الله؛ اعترافاً بربوبيته، وإقراراً بوحدانيته، ثم ثبتوا على ذلك؛ فلم تنزل أقدامهم، ويدخل في هذا كل العبادات والاعتقادات، وقد ورد عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ - قَالَ: (قُلْ: أَمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ) (6).

فالاستقامة هي الاعتدال في الطاعة اعتقاداً وقولاً وفعلًا مع الدوام على ذلك، وإن هؤلاء المستقيمين تنزل عليهم الملائكة من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها من جلب نفع، أو دفع ضرر، أو رفع حزن؟ أي بكل ما يعين لهم من الشئون الدنيوية والدينية مما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام، كما أن الكفار يغويهم قرناء السوء بتزيين المعاصي وارتكاب الآثام، بقولهم لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمور الآخرة، ولا تحزنوا على ما فاتكم

(2) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحي، ص 96.

(3) انظر: لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، للقشيري (1/ 69).

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص 47.

(5) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (1/ 203، 204).

(6) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب جامع أوصاف الإسلام - 65/1 - حديث رقم (38).

من أمور الدنيا من أهل وولد ومال، ويقال لهم: أبشروا بالجنة التي وعدتم بها على أسنة الرسل عليهم السلام في الدنيا، فإنكم واصلون إليها، مستقرون بها، خالدون في نعيمها<sup>(7)</sup>. وفي ذلك كله إشارة إلى أن الله تعالى يجزي المستقيمين الذي يؤمنون بالله تعالى، وبكل ما يرد في كتاب الله تعالى، وهذا هو توجيه تربيوي عقدي يبين حقيقة الإيمان في قلوب المؤمنين، بما يترجمه أسنتهم، وما عمله الجوارح.

**ثانياً: توجيهات تربوية في أركان الإيمان.**

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)** [البقرة: 8]، فإن الإيمان ليس هو المعرفة المجردة، إنما هو التصديق والإذعان والتسليم، وهؤلاء مع معرفتهم الحق في عهد النبي (صلي الله عليه وسلم)، وكانوا من اليهود، فلم يذعنوا ولم يسلموا، ولم تصل المعرفة إلى تصديق؛ ولذلك نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عنهم بقوله تعالى: **(وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)**، أي ليسوا مؤمنين، واليوم الآخر وهو يوم القيامة، وما يجري فيه من حساب، ثم ثواب أو عقاب؛ فالله عز وجل أكد نفي إيمانهم بالجملة الاسمية، أي: أنه سبحانه نفى الإيمان وأصله عن ذواتهم، كما أكدوا هم في نفاقهم الإيمان بالله، وباليوم الآخر، بتكرار الباء في (بالله وباليوم الآخر)، وهنا إشارة بيانية إلى أن المنافقين ليس من شأنهم الإيمان بشيء؛ لأن الإيمان بشيء من الأشياء يقتضي الإذعان والتصديق والتسليم، والعمل بموجب الاعتقاد والاستجابة، والمنافق قلبه غير مستقر، ولا مطمئن إلى شيء، هو قلب خاوي، والحقائق تتردد فلا تسكن، ولا تدفع إلى عمل ولا اطمئنان، فلا يؤمن بشيء، ومهما تكن حالهم فهم أشد الكفر عناداً وعنناً وخبثاً ومقتاً عند الله ورسوله، وعند الناس أجمعين<sup>(8)</sup>.

والواقع أن المنافقين في كل زمان ودولة هم الخطر الداهم على أممهم وشعوبهم، والسهم الذي يصوب في ظهر وطنهم، وكثيراً ما لاقى النبي (صلي الله عليه وسلم) من النفاق والمنافقين. والنفاق واليهودية شيان متلازمان؛ لأنه ينشأ عن جبن حقيقي ولوم طبيعي، فالمنافق يلتوى مع الناس في أقواله وأفعاله، وكم للمنافق في المجتمعات من أضرار بالغة ومخادعات هادمة<sup>(9)</sup>.

وقال تعالى: **(وَآمَنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ)** [البقرة: 41]، فالله تعالى: "أمرهم بالتصديق بالقرآن، وأخبرهم جل ثناؤه أن في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة؛ لأن الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمد (صلي الله عليه وسلم) وتصديقه واتباعه، نظير الذي من ذلك في التوراة والإنجيل ففي تصديقهم بما أنزل على محمد تصديقٌ منهم لما معهم من التوراة، وفي تكذيبهم به تكذيبٌ منهم لما معهم من التوراة"<sup>(10)</sup>، ف "لا تستبدلوا بالإيمان بما أنزلت مصدقاً لما معكم شيئاً من حطام الدنيا، ولا تختاروا على ثواب الله بديلاً من الأموال، فإنها مهما كثرت فهي قليلة مستزلة بالنسبة لما يناله أولو الإيمان الخالص من رعاية ضافية في الدنيا، وخيرات حسان في الآخرة، وليس وصف الثمن بالقلة من الأوصاف المخصصة للذكريات، بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصل بالآيات؛ إذ لا يكون إلا قليلاً وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا بجانب رضا الله عز وجل، ونزل تمكينهم من الإيمان بالآيات لوضوحها منزلة حصوله بالفعل، فكان الإيمان كان في حوزتهم؛ ولكنهم خلعوه ونبذوه، مستبدلين الذي هو أدنى بالذي هو خير فباءوا بغضب على غضب؛ لكفرهم بالقرآن الكريم وبتوراتهم التي بشرت بالرسول- عليه الصلاة والسلام-، ثم حذرهم سبحانه من التمادي في الكفر بما أنزل، مصدقاً لما معهم"<sup>(11)</sup>.

فقد أرشدت الآية إلى أحكام في العقيدة والأخلاق والعبادة والحياة الخاصة والعامية، فأوجبت على اليهود الوفاء بالعهد: وهو عام في جميع أوامره تعالى ونواهيته ووصاياه، ويدخل في ذلك الإيمان بمحمد (صلي الله عليه وسلم) الذي ذكر في التوراة وغيرها، فإذا وقوا بعهودهم، وفى الله لهم عهده: وهو أن يدخلهم الجنة، على سبيل التفضل والإنعام، وما طلب من اليهود من الوفاء بالعهد هو مطلوب منا، قال تعالى: **(وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ)** [المائدة: 1]، وقال تعالى: **(وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ)** [النحل: 91].

(7) انظر: تفسير المراغي، للمراغي (128/24).

(8) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (122/1، 123).

(9) انظر: التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي (19/1).

(10) جامع البيان في تأويل أي القرآن، للطبري (560/1).

(11) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي (108/1).

وقد أمرهم الله تعالى بخشيته وحده، والإيمان (التصديق) بما أنزل الله وهو القرآن، ونهاهم عن أن يكونوا أول من كفر، وألا يأخذوا على آيات الله ثمناً، أي على تغيير صفة محمد (صلي الله عليه وسلم) أي شيء، وكان الأحبار يفعلون ذلك، فنهوا عنه<sup>(12)</sup>.

والخلاصة: إن الإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر وبالكتب السماوية بما ذكر من وجوب الإيمان بالقرآن وبالتوراة هو ما ذكرته آيات الحزب، بما يعزز جانب التوجيه التربوي لعقيدة المؤمن بأن يلتزم بأركان الإيمان الثلاثة، مع ما سيأتي من مطالب تركز على بقية الأركان الإيمانية التي عالجتها آيات الحزب الأول من سورة البقرة، وقد ورد في حديث جبريل ٧ أنه قال: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)<sup>(13)</sup>.

ثالثاً: توجيهات تربوية في الحذر من نواقض الإيمان.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: 59]، فقد بدّلوا ما أمروا به من قول وفعل، فأمرُوا أن يدخلوا الباب سُجَّداً، فدخلوا يزحفون على أستاهم، وأن يقولوا: حِطَّةٌ، فقالوا: حنطة في شعير، مستهزئين بذلك<sup>(14)</sup>، فأنزل الله عليهم طاعوناً، فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً، بما كانوا يفسقون: يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى<sup>(15)</sup>.

وهذا يدل على أن اليهود أخفقوا في الالتزام بركن الإيمان بالله تعالى، فقد غيّرُوا ما أمرهم الله تعالى به، ووقع منهم التشكيك والتدليس في قول رسولهم الذي أرسل إليهم، ولم يعظّموا أمر الله تعالى فأروا قدرة الله تعالى في المتجاوزين لحدود الله تعالى من خلال أنه أرسل عليهم الطاعون، الذي ذكره في الآية بأنه الرّجز، فعن يحيى بن سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دُكِرَ الطَّاعُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وسلم)، فَقَالَ: (رَجَزٌ أَصِيبَ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا كَانَ بِهَا وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا)<sup>(16)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى لَنْ نُصِيبَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَتَانِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61]، يقول ابن كثير: "يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلوى، طعاماً طيباً نافعاً هنيئاً سهلاً، واذكروا دبركم وَضَجَرَكُمْ مما رزقتكم وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنية من البقول ونحوها مما سألتكم، وقوله تعالى: (قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) فيه تفرغ لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنية مع ما هم فيه من العيش الرغيد، والطعام الهنيء الطيب النافع...، ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة فيه، لم يجابوا إليه...، (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أي: وضعت عليهم وألزموا بها شرعاً وقدرًا، أي: لا يزالون مستبدلين، من وجددهم استبدلهم وأهانهم، وضرب عليهم الصغار، وهم مع ذلك في أنفسهم أدلاء متمسكون...، وقوله تعالى: (وباءوا بغضب من الله) فمعنى الكلام إذا: فرجعوا منصرفين متحمليين غضب الله، قد صار عليهم من الله غضب، ووجب عليهم من الله سخط، وقوله تعالى: (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) يقول تعالى: هذا الذي جازيناكم من الذلة والمسكنة، وإحلال الغضب بهم بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملة الشرع وهم الأنبياء وأتباعهم، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا كبر أعظم من هذا، إنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق...، وقوله تعالى: (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وهذه علة أخرى في مجازاتهم بما جوزوا به، أنهم كانوا يعصون ويعتدون، فالعصيان فعل المناهي، والاعتداء المجاوزة في حد المأذون فيه أو المأمور به"<sup>(17)</sup>.

فمعصيتهم واعتداؤهم كان نابغاً من عدم تغلغل الإيمان في قلوبهم؛ فقد استمرؤوا الكفر بآيات الله الكونية والملتوة، وقتلوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فحقت عليهم كلمة العذاب.

(12) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي (151/1).

(13) أخرجه مسلم في صحيحه- باب الكشف عن معايب رواة الحديث...- 36/1- حديث رقم (8).

(14) انظر: النكت والعيون، الماوردي (127/1).

(15) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (121/1).

(16) أخرجه أحمد في مسنده- مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص - 85/3- حديث رقم (1491)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: حديث صحيح.

(17) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (283-280/1) باختصار.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65]، فمن تشريع موسى (عليه السلام) لليهود أن لا يعملوا يوم السبت، أي يوم الراحة والعبادة؛ لكن اليهود -كما هو معهود عليهم لا يثبتون على عهد، ولا يطيعون إلا أهواءهم.

هنا يذكر الله اليهود الذي على زمن النبي (صلي الله عليه وسلم)، وفي كل زمان، ويقول لهم: لقد علمتم بلا ريب خبير أسلافكم الذين تجاوزوا الحد في السبت بأن صادوا السمك فيه، وهو يوم راحة وعيد العمل فيه محرم، لذلك مسخناهم وصيرناهم مبعدين عن الخير أذلاء صاغرين، مطرودين كالكلاب الخاسئين<sup>(18)</sup>.

**رابعاً: توجيهات تربوية في الإيمان بالملائكة والتعرف عليهم.**

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]، فالإيمان هو التصديق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: 17]، أي: بمصدق لنا، والإيمان في الشريعة يشتمل على الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، وقيل: الإيمان مأخوذ من الأمان، فسعي المؤمن مؤمناً؛ لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله. والله مؤمن؛ لأنه يؤمن العباد من عذابه، والغيب هو كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك، وذلك مثل الملائكة، والجنة، والنار، والصراط، والميزان، ونحوها<sup>(19)</sup>، فالملائكة من الغيب، ومطلوب من المتقين أن يؤمنوا بهم، وهذا توجيه تربوي إيماني من الله تعالى بذلك.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]، فإنه "حين أصبحت الأرض صالحة لاستقبال الكائن البشري، أعلن الله تعالى في الملائكة الأعلى هذا الخبر، وأذن الملائكة بأن كائنًا بشريًا سوف يظهر في الكوكب الأرضي، وسيتولى قيادة هذا الكوكب، ويكون خليفة الله فيه! والآية صريحة في أن هذا الكائن البشري أرضي المولد، والنشأة، والموطن، وأنه من طينة الأرض نشأ، وفي الأرض يتقلب، وفي شئونها يتصرف، (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)، هكذا من أول الأمر، فلم يكن آدم ابن السماء فلما عصى ربه طرد منها؛ ليكون خليفة الله على الأرض، ولو كان ذلك كما كان للملائكة أن ينفسوا على آدم هذه الخلافة، التي تبدو في هذا التصور عقوبة وتجريماً، أكثر منها حياءً وتكريماً؛ ولكن آدم -وهو ابن الماء والطين- لا يتوقع منه إلا أن ينضح بما في الماء والطين، وبما يتخلق من الماء والطين، من طبائع بهيمية، تغرى بالعدوان والفساد، وهذا ما جعل الملائكة يقولون هذا القول بين يدي الله، في آدم وما يتوقع منه، فما هو إلا إنسان في مسلاخ حيوان ذي مخالب وأنياب! وذلك قبل أن يكشف الله لهم عن ملكات أخرى لهذا الكائن الترابي، لا يملكها الملائكة، في عالمهم العلوي، عالم النور والصفاء! وتلك آيات بينات، تشهد لقدرة الخالق العظيم"<sup>(20)</sup>.

وهذه العوالم الثلاثة هي: عالم الملائكة وهم خلق الله تعالى، قيل إنه سبحانه خلقهم من نور، وهم أرواح طاهرة مطهرة لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يتصور منهم معصية ولا يكون منهم إلا الطاعة، ركب الله تعالى كونهم على أنه لا تتصور منهم معصية، فليست شهوات ولا أهواء، وهي بواعث العصيان.

والثاني من هذه العوالم: هو عالم الجن، وعبارات القرآن تدل على أنهم خلقوا من نار، وقد ذكر ذلك إبليس الذي هو من الجن، فقال في غروره مفضلاً نفسه على آدم: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]، وإبليس كان من الجن؛ ولكنه جن فاسق، فقد ذكر عنه ربه أنه ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ...﴾ [الكهف: 50]. والجن يظهر أن فيهم أهواء وشهوات، ولذلك كان منهم العاصون، ومنهم العادلون المقسطون، وأنهم مكلفون، وأنهم سمعوا القرآن، وسمعوا من قبل توراة موسى... والجن كما ذكر القرآن عالم غير عالم الملائكة، وغير عالم الإنسان، وتأويل القول فيهم أنهم من عالم الإنسان، وأنهم قبيلة منهم - تأويل بغير دليل، يخالف ظاهر القرآن، وليس لقائله من سند إلا أن يكون تحريفاً للقول عن مواضعه.

والعالم الثالث هو: عالم الإنسان، وقد خلق من سلالة من طين، والعالمان الخفيان، وهما عالم الملائكة وعالم الجن، تدل الآيات الكريمة على أنهما خلقا قبل العالم الثالث، وهو الإنسان، بدليل أن الملائكة ذكر الله تعالى لهم أنه جاعل

(18) انظر: تيسير التفسير، إبراهيم القطان (37/1).

(19) انظر: تفسير القرآن، السمعاني (1/ 43).

(20) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم بونس الخطيب (1/ 50).

الإنسان خليفة، وأنهم عجبوا أن يكون خليفة في الأرض من يفسد فيها ويهلك الحرث، وبدليل أن إبليس الذي كان من الجن عصى ربه، فلم يسجد، وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.  
والإنسان خلق فيه العقل المدرك الذي يرفعه إلى درجة الملائكة، وخلق فيه الشهوة والهوى اللذان يجعلانه مفسداً فيها ويهلك الحرث والنسل، وذلك وجه استغرابهم<sup>(21)</sup>.

فهذه أوصاف العوالم الثلاثة التي تدلل على ضرورة أن يتوجه المؤمنون إلى الإيمان بالملائكة وقدرتهم المستمدة من الله تعالى، وأنهم أكثر الخلق أدباً مع الله تعالى، وغيره على خلق الله تعالى.  
ومما ورد في أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لأدم عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34].

والمعنى: واذكر - يا أيها النبي - حين قلنا للملائكة: اخضعوا لأدم تحية له وإقراراً بفضلها، فأطاع الملائكة كلهم إلا إبليس رغم أنه كان من الجن إلا أنه مأمور بطاعة الله تعالى في هذا المقام -، وقد امتنع عن السجود وصار من العصاة له، والكافرين بنعم الله وحكمته وعلمه<sup>(22)</sup>.

وفي هذا إشارة إلى جانب التنكير بإفضال الله الأمر الذي يوجب الشكر ويرغب فيه، والتحذير من الكبر والحسد؛ حيث كانا سبب إبلاس الشيطان، وامتناع اليهود من قبول الإسلام، وتقدير عداوة إبليس، والتنبيه إلى أنه عدو تجب عداوته أبداً، والتنبيه إلى أن من المعاصي ما يكون كفراً أو يقود إلى الكفر<sup>(23)</sup>.

#### خامساً: توجيهات تربوية في التعامل مع المنافقين.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 8]، فقد ذكر سبحانه أولاً من أخلص دينه لله ووافق سره علنه وفعله قوله، ثم ثنى بذكر من محضوا الكفر ظاهراً وباطناً، وهنا ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وهم أخبت الكفرة؛ لأنهم ضموا إلى الكفر استهزاء وخداعاً وتمويهاً وتدليساً، وفيهم نزل قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145]، وقوله: ﴿مُذَبذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هُوَ لَا إِلَىٰ هُوَ﴾ [النساء: 143].

وقد وصف الله تعالى حال الذين كفروا في آيتين، وحال المنافقين في ثلاث عشرة آية، نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم، وفضحهم، واستجھلهم، واستهزأ بهم، وتهكم بفعلهم، ودعاهم صماً بكماً عمياً، وضرب لهم شنيع الأمثال؛ فنعى عليهم خبثهم في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 8]، ونفى عليهم مكرهم في قوله: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 9]، وفضحهم في قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾، أي: وما هم بداخلين في عداد المؤمنين الصادقين الذين يشعرون تعظيم سلطان الله، ويعلمون أنه مطلع على سرهم ونجواهم؛ إذ هم كانوا يكتفون ببعض ظواهر العبادات؛ ظناً منهم أن ذلك يرضي ربهم، ثم هم بعد ذلك منغمسون في الشرور والمآثم من كذب وغش، وخيانة وطمع إلى نحو ذلك مما حكاها الكتاب الكريم عنهم<sup>(24)</sup>، وقد بين الله تعالى بعضاً من صفاتهم في قوله عز وجل: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20]، ومعناه "ضوء البرق، يذهب ويختلس بأبصارهم من شدة ضوء البرق فكذلك نور إيمان المنافق يكاد يغطي على الناس كفره في سره؛ حتى لا يعلموا كفره، وقد قيل: معناه يكاد أن يظهر عليهم نور الإسلام، فيثبتون على ذلك، ثم قال: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾، أي: كلما لمع البرق في الليلة المظلمة مضوا فيه، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: إذا ذهب ضوء البرق قاموا متحيرين فكذلك المنافق، إذا تكلم بلا إله إلا الله، يمضي مع المؤمنين، ويمنع بها من السيف، فإذا مات بقي متحيراً نادماً، ويقال: معناه ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: 20]، أي: كلما ظهر لهم دليل نبوة محمد (صلي الله عليه وسلم)، وظهر لهم علاماته مالوا إليه، وإذا أظلم عليهم، أي إذا أصاب المسلمين محنة، كما أصابتهم يوم أحد، وكما أصابتهم يوم بدر معونة قاموا، أي ثبتوا على كفرهم<sup>(25)</sup>.

(21) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (1/ 192، 193).

(22) انظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص 10.

(23) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري (1/ 44).

(24) انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (1/ 48، 49).

(25) بحر العلوم، السمرقندي (1/ 32).

سادساً: توجيهات تربوية في التعامل مع اليهود.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [البقرة: 40]، فإنه "لما بين سبحانه طريق الهداية والضلال ونبه على جزاء كل منهما إجمالاً أشار إلى تفصيله وتوضيحه بإيراد قصص القرون الماضية والأمم السالفة؛ ليعتبر المؤمنون منها ومن جملتها قصة ندائه سبحانه بنى إسرائيل يعنى أولاد يعقوب مخاطباً لهم أمراً بتذكركم بالنعم التي أنعمها عليهم؛ ليكونوا من الشاكرين لنعمه، الموقنين بعهود كرمه بقوله: (يا بني إسرائيل) المتتبعين بالنعم الجليلة (اذكروا) واشكروا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وعلى من استخلفكم من أسلافكم وأوفوا بعد إعدادهم بالنعم وتعديدها على أنفسكم بِعَهْدِي الذي قد عهدتم معي من متابعة الهدى النازل مني على السنة أنبيائي، ورسلي أوفٍ بِعَهْدِكُمْ -أيضاً- بإرجاعكم وإيصالكم إلى مقامكم الأصلي الذي كنتم فيها قبل هبوطكم إلى دار المحن، وبعد رجوعكم إليها في النشأة الأخرى، لا يبقى لكم خوف من الأغيار؛ بل لا بد لكم حينئذ أن ترهبوا من سطوة سلطتي وقهري حسب جلالتي وإيائي عند عروض تلك الرهبة فَارْهَبُونِ وارجعوا إليّ، وتحننوا نحوي لأوانس معكم وأزيل رهبتكم عنكم" (26).

والمقصود أن الله تعالى طلب من بني إسرائيل أن يستحضروا جميع نعم الله تعالى على وجه الشكر، والإيفاء بالعهد المأخوذ عليهم؛ حتى يوفي الله تعالى بعهده، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: 12]، وطلب الله تعالى منهم أن يرهبوا، ويرهبوا غضبه، لا يرهبوا غيره؛ ولكن النتيجة كانت في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: 74]، والخطاب لمعاصري النبي محمد (صلي الله عليه وسلم)، والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لثبوت قلوبهم عن التأثر بالعظمت والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وإيراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع أن قلوبهم لم تنزل قاسية لما أن المراد بيان بلوغهم إلى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثه، وإما لأن الاستمرار على سيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه أمر جديد وصنع حادث، وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يُزيلها، وقوله (من بعد ذلك) إشارة إلى ما ذكر من إحياء القتيل أو إلى جميع ما عُدَّ من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجيهها نحو الحق، أي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلته وعلو طبقتة، وقوله (فهي كالحجارة) في القساوة، (أو أشد) منها (قسوة) أي: هي في القسوة مثل الحجارة أو زائدة عليها فيها أو أنها مثلها أو مثل ما هو أشد منها قسوة كالحديد، وإيراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية؛ للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم، وإنما لم يقل أو أقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة، (وإن من الحجارة لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) بيان لأشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة، وعدم التأثر، واستحالة صدور الخير منها يعني أن الحجارة ربما تتأثر؛ حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة، (وإن منها لَمَا يَشَقَّقُ) أي: ينتشق، (فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ) أي: العيون، (وإن منها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ): أي: يتردى من الأعلى إلى الأسفل بقضية ما أودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي إلى المركز وهو مجازاً من الانقياد لأمره تعالى، والمعنى أن الحجارة ليس منها فردٌ إلا وهو منقادٌ لأمره عز وعلاتٍ بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون أشد منها قسوة لا محالة (27).

يقول ابن عاشور رحمه الله: "وقوله: فهي كالحجارة تشبيهه فرع بالفاء لإرادة ظهور التشبيه بعد حكاية الحالة المعبر عنها بقست لأن القسوة هي وجه الشبه ولأن أشهر الأشياء في هذا الوصف هو الحجر فإذا ذكرت القسوة فقد تهيأ التشبيه بالحجر ولذا عطف بالفاء أي إذا علمت أنها قاسية فشبها بالحجارة" (28).

سابعاً: توجيهات تربوية في الإيمان بالجنة والنار وحياة البرزخ.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 5]، أي: الذين هذه صفتهم وما فيه من البعد للإشعار بعلو درجاتهم ورفعة مرتبتهم في الفضل (على هدى من ربهم) أي: على رشاد ونور، وقيل

(26) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الشيخ علوان (1/30).

(27) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (1/114، 115).

(28) التحرير والتوير (563/1).

على استقامة منحوها من عنده وأوتوها من قبله، وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي إلى الأفضل فالأفضل والإبهام المفهوم من التنكير في (هدى)؛ لكمال تفخيمه، فهم على هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره، (وأولئك) في تكرير اسم الإشارة دلالة على أن كلاً من الهداية الماضية والفلاح الآتي بحيث لو انفرد أحدهما لكفى مميّزاً على حياله (هم المفلحون) أي المنجحون الناجون الفائزون نجوا من النار، وفازوا بالجنة، والفلاح الظافر بالمطلوب<sup>(29)</sup>.

### التوجيه القرآني في الإيمان بالجنة:

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25]، فبعد إشارة الله عز وجل إلى ما أعد للكافرين، وهو النار التي وقودها الناس والحجارة التي كانوا يعبدونها، فتلك حصب جهنم، وقد أعدت تلك النار للذين يكفرون بالوحدانية وينكرون الرسالة الإلهية، والعصاة يقيمون فيها بقدر معاصيهم إلا أن يتغمدهم الله تعالى بعفوه وغفرانه ورحمته، بعد هذا ذكر سبحانه ما أعد للمتقين المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهكذا يقرن الله ترهيبه بترغيبه، فهو يرهب أهل الجحود بالإذار الشديد؛ ليقرع الحق أسماعهم، بعد أن سلك بهم طريق الحجة والبرهان، وبيان القسطاس المستقيم؛ ولكن إذا لم يدخل إلى قلوبهم كانت العقاب ما يستقبلهم من عذاب شديد؛ فالإيمان والعمل الصالح هما السبب في البشارة، أو هما السبب في الجزاء بأن تكون لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وثمرات الجنة المتشابهة المختلفة الطعوم، وقد ذكر الله تعالى مع الإيمان العمل الصالح، فقال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) والعمل الصالح هو العمل الذي يصلح به الناس وتستقيم جماعتهم، وتأنف قلوبهم، ويكون فيه صلاح الأرض، ولا يكون فسادهم، وهو الذي يسوده الإيثار، فحيث كان وجد الائتلاف، ومع الائتلاف الخير والقوة، ولا يكون فيه الأثرة، فإنها حيث كانت وجدت الفرقة، ووجد الانقسام وذهبت القوة. ويشمل العمل الصالح الصلوات والزكوات، والصيام والحج، كما يشمل كل خير يقدم للمجتمع، ومهما يكن القول في الاتصال بين الإيمان والعمل، فإن العمل يزكي الإيمان ويقويه، وهو كالماء، والغذاء، يتغذى منه الإيمان ويقوى، وإن الإيمان من غير عمل يجف، ولا يكون مثمراً منتجاً، فمن يكون مؤمناً من غير أن يعمل بموجب إيمانه يكون كمن يملك أرضاً طيبة، لا يزرعها، ولا يثمرها<sup>(30)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62]، فقد قرر الله عز وجل في هذه الآية أن المؤمنين من هذه الأمة، الذين صدّقوا بالله ورسوله، وعملوا بشرعه، والذين كانوا قبل بعثة محمد (صلي الله عليه وسلم) من الأمم السالفة من اليهود، والنصارى، والصابئين - وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه - هؤلاء جميعاً إذا صدّقوا بالله تصديقاً صحيحاً خالصاً، وبيوم البعث والجزاء، وعملوا عملاً مرضياً عند الله، فتوابهم ثابت لهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا، وأما بعد بعثة محمد (صلي الله عليه وسلم) خاتماً للنبيين والمرسلين إلى الناس كافة، فلا يقبل الله من أحد ديناً غير ما جاء به، وهو الإسلام<sup>(31)</sup>.

### ونلاحظ في هذه الآية هدايات، منها:

- 1- العبرة بالحقائق لا بالألفاظ؛ فالمناقق إذا قال هو مؤمن أو مسلم، ولم يؤمن بقلبه ولم يسلم بجوارحه لا تغني النسبة عنه شيئاً، واليهودي والنصراني والصابئي، وكل ذي دين نسبته إلى دين قد نسخ وبطل العمل بما فيه فأصبح لا يزكي النفس، هذه النسبة لا تنفعه، وإنما الذي ينفع الإيمان الصحيح والعمل الصالح.
- 2- أهل الإيمان الصحيح والاستقامة على شرع الله الحق مبشرون بنفي الخوف عنهم والحزن وإذا انتفى الخوف حصل الأمن، وإذا انتفى الحزن حصل السرور والفرح وتلك السعادة<sup>(32)</sup>.

(29) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب القنوجي (1/ 85-87).

(30) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (1/ 167-170).

(31) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص 10.

(32) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري (1/ 65).

## التوجيه القرآني في الإيمان بالنار:

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 23]، أي: "فإذا كشفت هذه التجربة عن العجز الفاضح، وظهر منها أن هذا الكلام هو كلام الله، وأن هذا الرسول هو رسول الله، لم يكن بُدُّ من تصديقه، وتصديق ما جاء به، من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والامتثال لما يأمر به، وينهى عنه، وإلا فهو العناد الآثم، والكبر الوقاح، المفضي بصاحبه إلى هذا المصير المشئوم"<sup>(33)</sup> فاحذروا النار التي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، فالله تعالى يريد هنا أن يلفتنا إلى صورة أخرى عن عجز هؤلاء الكفار؛ فهم بحثوا عن أعذار؛ ليسوّغوا بها عدم إيمانهم وتظاهروا بأنهم يشكرون في القرآن الكريم، يقول لهم: لو كانت لكم قدرة وذاتية فعلاً فامنعوا أنفسكم من دخول النار يوم القيامة، كما منعت أنفسكم من الإيمان في الدنيا، وهذا وعيد من الله عز وجل؛ فقد أعطاهم ذاتية الاختيار في الدنيا، ولم يختاروا قهراً؛ بل اختاروا عدم الإيمان بمشيئة الاختيار التي أعطاه الله لهم؛ ولكن هناك وقت ليس فيه اختيار وهو الآخرة فحاولوا أن تتقوا في الآخرة عذاب النار يوم القيامة؛ ولكن لن يكون لأحد اختيار<sup>(34)</sup>.

## التوجيه القرآني بالإيمان بحياة البرزخ:

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]، فقوله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ) استفهام إنكاري توبيخي، وقوله (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا) أي معدومين، أي: في أصلاّب الآباء، أو نطفاً في الأرحام، وقوله (فَأَحْيَاكُمْ) أي أخرجكم إلى الدنيا (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) الموت المعروف، (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) بالبعث (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) للجزاء، وقيل: الحياة الأولى حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد، وقيل: في الحياة الثانية إنها في القبور، ورجّح المفسرون القول الأول؛ لدلالته الواضحة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الحج: 166].

وهذه الآية جاءت في معرض الردّ على الكفار، وإقامة البرهان على بطلان قولهم؛ فإن قيل: إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم منكرون له؟ فالجواب: أنهم ألزموا من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث؛ لأن القدرة صالحة لذلك كله، وقوله (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا) في موضع الحال، فإن قيل: كيف جاز ترك قد، وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال فالجواب: أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل، والمراد مجموع الكلام، كأنه يقول: وحالهم هذه؛ فلذلك لم تلزم قد، وأما عطف فأحياكم بالفاء فلأن الحياة إثر العدم ولا تراخي بينهما، وعطف ثم يميتكم وثم يحييكم بثم؛ للتراخي الذي بينهما<sup>(35)</sup>.

## ثامناً: توجيهات تربوية في الإيمان بتكريم الله تعالى لأوليائه وعقابه لأعدائه.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]، أي: فإن يأتكم مني شريعة ورسول وبيان ودعوة، فمن قبل أمري واتبع ما أمره به فلا خوف عليهم في الآخرة ولا حزن. والخطاب لأدم وحواء وذريتهما أعلمهم الله تعالى أنه يبتليهم بالطاعة ويجازيهم بالجنة عليها ويعاقبهم بالنار على تركها<sup>(36)</sup>.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 39]، أي: والذين كفروا بألوهيتنا وجدوا وحدانيتنا، وكذبوا بآياتنا المنزلة على أنبيائنا في هذه الدنيا وماتوا على ذلك أولئك أصحاب النار في الآخرة عقاباً لتكذيبهم، هم في النار باقون أبداً لا يخرجون منها ولا يموتون فيها<sup>(37)</sup>، فالمعصية تسبب الشقاء والحرمان، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله يسبب الأمن والإسعاد والإعراض عنهما يسبب الخوف والحزن والشقاء والحرمان، والكفر والتكذيب جزاء صاحبهما الخلود في النار<sup>(38)</sup>.

يقول د. محمد سيد طنطاوي: "ونفي الخوف والحزن ورد في الآية على وجه الإطلاق، وظاهره أن المهتدين لا يعتربهم الخوف ولا الحزن في دنياهم ولا في آخرتهم؛ ولكن قوله تعالى فيما يقابله من جزاء الكافرين (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

(33) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (42/1).

(34) انظر: تفسير الشعراوي، للشعراوي (223/1).

(35) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (78/1).

(36) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، ص 101.

(37) انظر: بيان المعاني، عبد القادر بن ملاً حويش (31/5).

(38) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري (48/1).

فيها خالِدُونَ)، يرجح أن يكون المراد نفي الخوف والحزن في الدار الآخرة، ونفي الخوف والحزن عن المهتدين يوم القيامة كناية عن سلامتهم من العذاب وفوزهم بالنعيم الخالد في الجنة، فتمت المقابلة بين جزاء المهتدين وجزاء الكافرين المشار إليه بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (39). وقال الله تعالى: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) [البقرة: 50]، "والمعنى: اذكروا ذلك الوقت الذي فرقنا أي أوجدنا شقاً طويلاً في البحر من ساحل مصر إلى ساحل سيناء، وقد كان متصل الأجزاء، وسطحاً لا فرقة فيه ولا انشقاق، فسرتم فيه، كأن الماء قد افترق على قدر حاجتكم، وسرتم فيه آمنين مطمئنين، وسار وراءكم الذين عذبوكم، ودبروا السوء لكم، ودبّحوا أبناءكم، واستحيوا نساءكم لأهوائهم، وهم آل فرعون الذين ناصروه وأيدوه، وقد ازدلفوا من ورائكم فأغرقهم، وأنتم تنظرون إلى تدبير الله تعالى، وإعجازه، وأنتم ترونه رأي العين لا بالخبر والسماع" (40).

وقال الله تعالى: (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [البقرة: 59].

هكذا خالف الظالمون أمر ربهم وبدّلوا ما أمروا به بالإحجام عن طاعة الأوامر، استهزاءً بالجزاء، فأنزل الله على الظالمين منهم عذاباً من فوقهم جزاء لهم على فسقهم وخروجهم على أوامر ربهم (41). وقد ورد في الحزب الأول من القرآن ما يدل على أنّ بني إسرائيل يتعجلون بطبعهم في الإعراض عن الأوامر الربانية، فقال الله تعالى: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [البقرة: 64]، أي: أعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد أخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكم بتوفيقكم للتوبة، أو تأخير العذاب، لَكُنْتُمْ مِنَ الْهَالِكِينَ بالعقوبة (42).

وورد في بدايات سورة البقرة ما يدل على عقوبة الله تعالى لبني إسرائيل، فقال Y: (وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَلَقْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [البقرة: 65]، أي: وأقسم بعزتي وجلالي أنّكم قد علمتم نبأ الذين تجاوزوا حدود حكم الكتاب في ترك العمل الدنيوي يوم السبت، (فلقنا لهم كونوا قردة خاسئين) قيل: ما مسخت صورهم ولكن مسخت قلوبهم، فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) [الجمعة: 5]، ومثل هذا قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ) [المائدة: 60]، والخسوء: هو الطرد والصغار، والأمر للتكوين، أي: فكانوا بحسب سنة الله في طبع الإنسان وأخلاقه كالقردة المستذلة المطرودة من حضرة الناس، والمعنى: أن هذا الاعتداء الصريح لحدود هذه الفريضة قد جرأهم على المعاصي والمنكرات بلا خجل ولا حياء حتى صار كرام الناس يحتقرونهم، ولا يرونهم أهلاً لمجالستهم ومعاملتهم (43). وقال الله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [البقرة: 74]، أي: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة، من بعد ما أنعم عليكم بالنعمة العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم؛ لأنّ ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها كالحجارة التي هي أشد قسوة من الحديد؛ لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار، وقوله: (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) أي: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار، وليست "أو" بمعنى "بل" ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال: (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)؛ فبهذه الأمور كلها فضلت قلوبكم، ثم توعدهم تعالى أشدّ الوعيد، فقال: (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بل هو عالم بها حافظ لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه (44).

(39) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي (103/1، 104).

(40) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (227/1).

(41) انظر: تيسير التفسير، إبراهيم القطان (32/1).

(42) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (322/1).

(43) انظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (284/1).

(44) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص 55.

تاسعاً: توجيهات تربوية في بيان توبة الله على عباده.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37]، والمعنى: "أن الله جل ثناؤه لقي آدم كلمات، فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن، وتاب بقبله إياهن وعمله بهن إلى الله من خطيئته، معترفاً بذنبه، متصلاً إلى ربه من خطيئته، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه، وندمه على سالف الذنب منه، والذي يدل عليه كتاب الله، أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه، هنَّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متصلاً بقبلها إلى ربه، معترفاً بذنبه، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]" (45).

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 52]، ثُمَّ عَفَوْنَا متجاوزين عَنْكُمْ حين تبتم من بعد ارتكابكم الأمر العظيم، وهو اتخاذكم العجل إلهاً لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمة الله تعالى في العفو عنكم عن هذا الذنب العظيم (46).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54]، والمعنى: "أن الله تعالى نبههم على عظم ذنبهم، ثم نبههم على ما به يتخلصون عن ذلك الذنب العظيم وذلك من أعظم النعم في الدين، وإذا كان الله تعالى قد عدد عليهم النعم الدنيوية فبأن يعدد عليهم هذه النعمة الدينية أولى، ثم إن هذه النعمة وهي كيفية هذه التوبة لما لم يكن وصفها إلا بمقدمة ذكر المعصية كان ذكرها أيضاً في تمام النعمة" (47).

فما من نعمة أعظم على الإنسان من نعمة الهداية والإسلام، فالرجوع والإنابة إلى الله تعالى من أعظم النعم التي ينعمها الله تعالى على عباده.

### القسم الثاني: توجيهات تربوية فقهية

يركز هذا المبحث على بيان التوجيهات التربوية في حكم الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك التعرف على فقه الأولويات وبيان حكم الاستخلاف في الأرض، وبيان أحكام شرائع الأنبياء السابقين، والتوجيه التربوي لأهمية السمع والطاعة لشريعة الله تعالى، وكل ذلك في ضوء الحزب الأول من سورة البقرة. وقد كان هذا المبحث توضيحاً عملياً لذلك، من خلال المطالب الآتية:

#### أولاً: توجيهات تربوية في حكم الجهاد في سبيل الله تعالى.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]، ففي هذه الآية بيان لصفات المؤمنين المتقين ومنهجهم في الحياة الإسلامية فهم ملتزمون بإيمان شامل كامل بكل ما غاب علمه عنهم، كذات الله تعالى وملائكته والدار الآخرة، مما أخبر عنه القرآن العظيم وأرشد إليه الدليل السليم، والإيمان مقرون بالعمل الصالح: وهو إقامة الصلاة المفروضة، والإنفاق في سبيل الله في الجهاد، وعون الفقراء والمساكين وصدقة التطوع، والنفقة الواجبة على أهل والولد وذوي القربى" (48)، فالنفقة مفهوم واسع لكل مصارف الزكاة، بما يشمل الجهاد في سبيل الله تعالى، وبيان بأن الإنفاق في سبيل الله على الجهاد والمجاهدين وغيرهم لا يكون من الحرام؛ لأن الله تعالى قال (ومما رزقناهم)، فالآية في معرض الثناء على المتقين (49).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَمَلَأُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58]، أي: واذكروا -أيضاً- إذ قلنا لأبائكم: ادخلوا القرية المعلومة لكم فاسكنوا فيها واكلوا واشربوا أكلاً واسعاً لا حرج فيه، وادخلوا الباب خاضعين مبتهلين إلى الله وحده، وقولوا: يا ربنا دعأونا أن تحط عنا ذنوبنا وتغفر لنا سيئاتنا وسنزيد المحسنين منكم أكثر من هذا (50)، وفي هذه الآية تذكير الأبناء بأيام الآباء للعتة والاعتبار، وترك الجهاد إذا وجب بسبب للآمة الذل والخسران (51).

(45) جامع البيان في تأويل أي القرآن، للطبري (1/ 546).

(46) انظر: الكشاف، الزمخشري (1/ 139).

(47) مفاتيح الغيب، للرازي (3/ 515).

(48) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي (1/ 75).

(49) انظر: التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، للسبيلي (ص 250).

(50) انظر: التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي (1/ 40).

(51) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري (1/ 60).

ثانياً: توجيهات تربوية في التعرف إلى فقه الأولويات.

قد جاءت بعض الآيات لتوصّل مراعاة الأولويات كمبدأ وفكرة عامة دون تخصيص لمسألة عامة وحكم جزئي، قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ، وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ، وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 40-43]، يُذَكِّرُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ ن بِنِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ إِجْمَالًا، قَبْلَ الْبَدْءِ فِي تَفْصِيلِ بَعْضِهَا فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَلِيهَا يَذْكُرُهُمْ بِهَا؛ لِيَدْعُوَهُمْ بَعْدَهَا إِلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِمْ مَعَهُ سَبْحَانَهُ كَيْ يَتِمَّ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةُ وَيَمْدَ لَهُمْ فِي الْآلَاءِ، وَوَفَاءَ بِهَذَا الْعَهْدِ كَذَلِكَ يَدْعُوَهُمُ اللهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ، وَأَلَّا يَسَارِعُوا إِلَى الْكُفْرِ بِهِ، فَيَصْبِحُوا أَوْلَ الْكَافِرِينَ، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْهَاهُمْ اللهُ أَنْ يَكُونَ كُفْرُهُمْ بِمَا أَنْزَلَهُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ، شَرَاءَ لِلدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَإِيثَارًا لِمَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ مَصَالِحٍ خَاصَّةٍ لَهُمْ -وَبِخَاصَّةِ أَحْبَابِهِمُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْإِسْلَامِ فَيُخْسِرُوا رِيَاسَتَهُمْ، وَمَا تَدْرَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَافِعٍ وَإِتَائَاتٍ-، وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى خَشْيَتِهِ وَحَدِّهِ وَتَقْوَاهُ، وَيَمْضِي السِّيَاقُ يَحْذَرُهُمْ مَا كَانُوا يَزَالُونَ مِنْ تَلْبِيسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَكُتْمَانِ الْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَهُ، بِقَصْدِ بَلْبِلَةِ الْأَفْكَارِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَإِشَاعَةِ الشُّكِّ وَالِاضْطِرَابِ، وَلَقَدْ زَاوَلَ الْيَهُودَ هَذَا التَّلْبِيسَ وَالتَّخْلِيطَ وَكُتْمَانَ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَنَاسِبَةٍ عَرَضَتْ لَهُمْ، وَكَانُوا دَائِمًا عَامِلَ فِتْنَةٍ وَبَلْبِلَةٍ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، وَعَامِلَ اضْطِرَابٍ وَخَلْخَلَةٍ فِي الصِّفِّ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ يَدْعُوَهُمْ إِلَى الْإِنْتِمَاجِ فِي مَوْكَبِ الْإِيمَانِ، وَالدُّخُولِ فِي الصِّفِّ، وَأَدَاءِ عِبَادَاتِهِ الْمَفْرُوضَةِ، وَتَرْكِ هَذِهِ الْعِزْلَةِ وَالتَّعَصُّبِ الذَّمِيمِ<sup>(52)</sup>.

ثالثاً: توجيهات تربوية في أحكام الاستخلاف.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

"الخليفة في الأصل الذي يخلف غيره أو يكون بدلا عنه في عمل يعمله، فهو فعيل بمعنى فاعل والتاء فيه للمبالغة في الوصف كالعلامة. والمراد من الخليفة هنا إما المعنى المجازي وهو الذي يتولى عملا يريده المستخلف مثل الوكيل والوصي، أي جاعل في الأرض مدبرا يعمل ما نريده في الأرض فهو استعارة أو مجاز مرسل وليس بحقيقة لأن الله تعالى لم يكن حالا في الأرض ولا عاملا فيها العمل الذي أودعه في الإنسان وهو السلطنة على موجودات الأرض، ولأن الله تعالى لم يترك عملاً كان يعمله فوكله إلى الإنسان بل التدبير الأعظم لم يزل لله تعالى فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي استطاع بما أودع الله في خلقته أن يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي خلاف غيره من الحيوان، وإما أن يراد من الخليفة معناه الحقيقي إذا صح أن الأرض كانت معمورة من قبل بطائفة من المخلوقات يسمون الجن... فالخليفة آدم وخليفته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض بالإلهام أو بالوحي وتلقين ذريته مراد الله تعالى من هذا العالم الأرضي، ومما يشمله هذا التصرف تصرف آدم بسن النظام لأهله وأهاليهم على حسب وفرة عددهم واتساع تصرفاتهم، فكانت الآية من هذا الوجه إيماء إلى حاجة البشر إلى إقامة خليفة لتنفيذ الفصل بين الناس في منازلهم إذ لا يستقيم نظام يجمع البشر بدون ذلك، وقد بعث الله الرسل وبين الشرائع فربما اجتمعت الرسالة والخلافة وربما انفصلتا بحسب ما أراد الله من شرائعه إلى أن جاء الإسلام فجمع الرسالة والخلافة لأن دين الإسلام غاية مراد الله تعالى من الشرائع وهو الشريعة الخاتمة ولأن امتزاج الدين والملك هو أكمل مظاهر الخطين. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: 64]. ولهذا أجمع أصحاب رسول الله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على إقامة الخليفة لحفظ نظام الأمة وتنفيذ الشريعة ولم ينازع في ذلك أحد من الخاصة ولا من العامة إلا الذين ارتدوا على أديارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، من جفاة الأعراب ودعاة الفتنة فالمناظرة مع أمثالهم سدى"<sup>(53)</sup>.

(52) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (1/ 110-112).

(53) التحرير والتنوير، لابن عاشور (1/ 398، 399) باختصار.

رابعاً: توجيهات تربوية في أحكام شرائع الأنبياء السابقين.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54]، أي: "واذكر أيها الرسول الكريم فيما تلقينه على بنى إسرائيل وغيرهم من العظات قول موسى لقومه الذين عبدوا العجل حين كان يناجي ربه: يا قوم إنكم باتخاذكم العجل لها قد أضرتكم بأنفسكم وأنقصتم مالها من الأجر والثواب عند ربكم لو أنكم أقمتم على عهدي واتبعتم شريعتي... (فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أي فاعزموا على التوبة إلى من خلقكم وميِّز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة، وفي قوله إلى بارئكم إيماء إلى أنهم بلغوا غاية الجهل؛ إذ تركوا عبادة البارئ وعبدوا أغبي الحيوان وهو البقر، وليقتل البريء منكم المجرم، وإنما جعلهم أنفسهم للإشارة إلى أن المؤمنين إخوة، فأخو الرجل كأنه نفسه... (ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ) أي ما ذكر من التوبة والقتل أنفع لكم عند الله من العصيان والإصرار على الذنوب لما فيه من العذاب؛ إذ إن القتل يطهركم من الرجس الذي دنستم به أنفسكم ويجعلكم أهلاً للتواب (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) أي ففعلتم ما أمركم به موسى فقبل توبتكم وتجاوز عن سيئاتكم (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) أي إنه هو الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويقبلها منهم، وهو الرَّحِيمُ بمن ينيب إليه ويرجع، ولولا ذلك لعجل بإهلاككم على ما اجترحتم من عظيم الآثام" (54).

ونلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي:

1- قبول توبة بنى إسرائيل وعفو الله عنهم؛ لأن الله تعالى كثير القبول لتوبة العصاة، ورحيم بمن ينيب إليه ويرجع، وهذا يستدعي شكر الله تعالى، وشكره: الإيمان به وبرسله واتباعهم فيما جاؤوا به، وبخاصة خاتم النبيين محمداً p.

2- التخلص الجماعي من المجرمين بأمر الله نبيه موسى (ص)، بعد أن اتخذ بنو إسرائيل العجل لها، فعبدوه من دون الله، وظلموا أنفسهم بعد الإشراف بالله، في وقت غيبة موسى عنهم لميقات ربه، وصومه أربعين يوماً، فاذا كان يا محمد قول موسى لقومه الذين عبدوا العجل حين كان يناجي ربه: يا قوم إنكم باتخاذكم العجل لها قد أضرتكم بأنفسكم، فتوبوا إلى خالفكم، وتخلصوا من جهلكم، إذ تركتم عبادة البارئ، وعبدتم أغبي الحيوان وهو البقر.

وطريق التوبة التي كانت في شريعتهم: أن يقتل البريء منكم المجرم، فأرسل الله عليهم سحابة سوداء؛ لئلا يبصر بعضهم بعضاً عند القتل، فيرحمه، فتقاتل عبدة العجل مع المؤمنين بالسيوف، وتطاعنوا بالخناجر من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، حتى قتل منهم سبعون ألفاً، وبعدها تضرع موسى وهارون عليهما السلام إلى الله تعالى، فتاب عليهم، من قتل ومن لم يقتل، أما المقتول فهو حي يرزق عند الله، وأما من بقي فقد قبلت توبته، وانتهى القتال، وألقوا السلاح، وساد السلم والأمن، ولا عجب في هذا، فالله هو التواب الرحيم بعباده (55).

وقد ورد في الحزب الأول من سورة البقرة ما يبين أحكام السجود لله تعالى شكرًا على النعم في عهد بنى إسرائيل، فقال عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ، فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: 58، 59]، فحينما أمر الله اليهود بالدخول في باب القرية سجداً قائلين: حطة، بدّلوا ودخلوا الباب، يزهقون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة، وكان قصدهم خلاف ما أمرهم الله به، فعصوا وتمردوا واستهزءوا، فعاقبهم الله بالرجز وهو العذاب، وفي هذا دليل على أن تبديل الأقوال المنصوص عليها في الشريعة لا يجوز إن كان التّعبد بلفظها؛ لئذ الله تعالى من بدّل ما أمر به بقوله، أما إن كان التّعبد بمعناها فيجوز تبديلها بما يؤدي ذلك المعنى، ولا يجوز تبديلها بما يخرج عنه، وبناء عليه أجاز جمهور العلماء للعالم بمواقع الخطاب البصير بأحاد كلماته رواية الحديث النبوي بالمعنى؛ لكن بشرط المطابقة للمعنى بكامله، واتفق العلماء على جواز نقل الشرع للأعاجم غير العرب بلسانهم وترجمته لهم، وذلك هو النقل بالمعنى، وقد فعل الله ذلك في كتابه فيما قصّ من أنباء ما قد سلف، فقصّ قصصاً ذكر بعضها في مواضع بألفاظ مختلفة والمعنى واحد، ونقلها من ألسنتهم إلى اللسان العربي، وهو مخالف لها في التقديم والتأخير، والحذف والإلغاء، والزيادة والنقصان، وإذا جاز إبدال العربية بالعجمية، فلأن يجوز بالعربية أولى (56).

(54) تفسير المراغي، للمراغي (119/1، 120).

(55) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي (162/1).

(56) انظر: المرجع السابق نفسه (170/1).

## الخاتمة

الحمد لله الذي منّ عليّ، ويسرّ لي إتمام هذا البحث، وسأقف على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها وهي كما يأتي:

### أولاً: أهم النتائج:

بيان التوجيهات التربوية في حقيقة الإيمان، ومروراً بأركان الإيمان، والحذر من نواقض الإيمان، وكذلك الإيمان بالملائكة والتعرف عليهم، والتوجيه التربوي في التعامل مع المنافقين، والتعامل مع اليهود، ثم الإيمان بالجنة والنار وحياة البرزخ، والإيمان بتكريم الله تعالى لأوليائه وعقابه لأعدائه، وانتهاءً بالتوجيهات التربوية في بيان توبة الله على عباده.

- بيان التوجيهات التربوية الفقهية، مما يبين أهمية الفقه ومكانته وأن الله فضل به الإنسان بالفهم على معظم مخلوقاته.

### ثانياً: أهم التوصيات:

- استناداً إلى ما توصلت إليه من نتائج، فإنني أوصي بالآتي:
- 1- أوصي طلبة العلم والباحثين بالبحث والتقيب في التوجيهات التربوية القرآنية لسور القرآن الكريم، مع تطبيق قواعد التفسير الموضوعي.
  - 2- أوصي العاملين في حقل الدعوة إلى الله بالاهتمام بالنشئ وتربيتهم على فهم القرآن وتدبر معانيه.

### المراجع:

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
2. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م.
3. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.
4. التحرير والتنوير: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الناشر: دار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ.
5. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
6. تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
7. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، عدد الأجزاء: 12.
8. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.
9. تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ.
10. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
11. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ.
12. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
13. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ - 1946 م.

14. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ.
15. التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية.
16. التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - 1413 هـ
17. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى.
18. التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (المتوفى: 380هـ)، الناشر: كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: 2.
19. تيسير التفسير: إبراهيم القطان (ت: 1404هـ)، [الكتاب مرقم آلياً على المكتبة الشاملة، غير موافق للمطبوع] .
20. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م.
21. جامع البيان في تأويل أي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
22. زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
23. صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
24. فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي (ت: 1307هـ)، قدم له: عبد الله الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م.
25. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية: نعمة الله بن محمود النخجواني، المعروف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ.
26. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت: 1966م)، دار الشروق - القاهرة، بيروت، الطبعة الثامنة والثلاثون، 1430هـ - 2009 م.
27. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
28. لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.
29. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
30. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
31. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م .
32. معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ.
33. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ .
34. المنتخب في تفسير القرآن الكريم: لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، 1416 هـ - 1995 م .